

التحرير والتنوير

ومعنى (ما كنت تتلو من قبله من كتاب) أنك لم تكن تقرأ كتابا حتى يقول أحد : هذا القرآن الذي جاء به هو مما كان يتلوه من قبل .

(ولا تخطه) أي لا تكتب كتابا ولو كنت لا تتلوه فالمقصود نفي حالتي التعلم وهما التعلم بالقراءة والتعلم بالكتابة استقصاء في تحقيق وصف الأمية فإن الذي يحفظ كتابا ولا يعرف يكتب لا يعد أميا كالعلماء العمي والذي يستطيع أن يكتب ما يلقي إليه ولا يحفظ علما لا يعد أميا مثل النساخ فبانتهاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية .

و (إذن) جواب وجزاء لشرط مقدر ب (لو) لأنه مفروض دل عليه قوله (وما كنت تتلو) (ولا تخطه) . والتقدير : لو كنت تتلو قبله كتابا أو تخطه لارتاب المبطلون . ومجيء جواب (إذن) مقترنا باللام التي يغلب اقتران جواب (لو) بها دليل على أن المقدر شرط ب (لو) كما في قول قريظ العنبري : .

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا .

إذن لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا قال المرزوقي في شرح الحماسة " وفائدة (إذن) هو أنه أخرج البيت الثاني مخرج جواب قائل قال له : ولو استباحوا إبلك ماذا كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : .

" إذن لقام بنصري معشر خشن ويجوز أن يكون أيضا : إذن لقام جواب (لو) كأنه أجيب بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنت حرا لاستقبح ما يفعله العبيد إذن لاستحسننت ما يفعله الأحرار " اه . يعني يجوز أن تكون جملة : إذن لقام بدلا من جملة : لم تستبح .

وقد تقدم الكلام على نظيره في قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق) في سورة المؤمنين . والارتباب : حصول الريب في النفس وهو الشك . ووجه التلازم بين التلاوة والكتابة المتقدمين على نزول القرآن وبين حصول الشك في نفوس المشركين أنه لو كان ذلك واقعا لاحتمل عندهم أن يكون القرآن من جنس ما كان يتلوه من قبل من كتب سالفه وأن يكون مما خطه من قبل من كلام تلقاه فقام اليوم بنشره ويدعو به .

وإنما جعل ذلك موجب ريب دون أن يكون موجب جزم بالتكذيب لأن نظم القرآن وبلاغته وما احتوى عليه من المعاني يبطل أن يكون من نوع ما سبق من الكتب والقصص والخطب والشعر ولكن ذلك لما كان مستدعيا تأملا لم يمنع من خطور خاطر الارتباب على الإجمال قبل إتمام النظر والتأمل بحيث يكون دوام الارتباب بهتانا ومكابرة .

(كقوله فهو باليمين إلا يكون لا الخط لأن للتأكيد (بيمينك) بقيد (تخطه) وتقييد A E

ولا طائر يطير بجناحيه) .

ووصف المكذبين بالمبطلين منظور فيه لحالهم في الواقع لأنهم كذبوا مع انتفاء شبهة الكذب فكان تكذيبهم الآن باطلا فهم مبطلون متوغلون في الباطل ؛ فالقول في وصفهم بالمبطلين كالقول في وصفهم بالكافرين .

(بل هو آيات بينت في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون [49])
(بل) إبطال لما اقتضاه الفرض من قوله (إذن لارتاب المبطلون) أي بل القرآن لا ريب يتطرقه في أنه من عند الله فهو كله آيات دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه من عند الله لما اشتمل عليه من الإعجاز في لفظه ومعناه ولما أيد ذلك الإعجاز من كون الآتي به أميا لم يكن يتلو من قبله كتابا ولا يخط أي بل القرآن آيات ليست مما كان يتلى قبل نزوله بل هو آيات في صدر النبي صلى الله عليه وسلم .

فالمراد من (صدور الذين أوتوا العلم) صدر النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالجمع تعظيما له